عالم النبات

obeikandl.com

obeikandl.com

أأنتم تزرعونه؟ أم نحن الزارعون

هل وقفت يومًا أمام حديقة غَنَّاء... تَرى الأشجار والأزهار والثمار؟ كم تَفيض النَّفس سُرورًا وانشراحًا بذلك الجمال، وتلك الألوان الرائعة والتَّصَامِيم المُبهرة، والشذا الأخَّاذ!! تَنَاسُق وإبداع..﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾، ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠].

ألم تر أن الحبة الصغيرة تنفَلِق بقُدرة الله فتخرج منها تلك الحياة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ سل نفسك كيف تمكن هذا الجذر الرقيق الضعيف أن يتوغل داخل الأرض الصلبة لولا أن الله يشقها له بقدرته ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾؟ أيقدر على هذا بشر ولو اجتمع من بأقطارها؟

تأمل هذا نبات عُمق جذوره سنتيمترات، وآخر جذوره عشرات الأمتار، هذه ساق تنمو رأسيًا لأعلى وذاك ساق زاحف كالبطيخ وثالث مُتَسَلِق كساق العنب.

انظر: بماء واحد ينبت التفاح الحلو، والحنظل المر، والقطن الناعم والصبار الشائك، والثمار رغم اختلاف ألوانها وأشكالها وأحجامها وطعومها ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾.

هل شكرنا الله؟

ومِن نِعم الله علينا أنه أَودعَ في بعض النباتات شفاءً ودواء لكثير من الأمراض والأدواء، فبالهند وحدها يُحصون حوالي ٢٥٠٠ نوع نبات له خصائص طِبيَّة، فهذا يقوى وذلك يضعف، وهذا منوم وأخر منشط، نبات يخفف الألم، وغيره يَخفض الضغط، عُشبٌ يرفع الحرارة وثانٍ لخفضها..

فتأمل كم كان الناس سيعانون من آلام لو لم يخلق الله هذه النباتات، فما أرحم الله بعباده وما أغفل العباد عن شكره جَلَّ في علاه!

والعالم اليوم يعود للتداوي بالأعشاب بقوة.

تمر بالصحاري والقفار فترى زُرُوعًا مبثُوثة بأراض ليس بها أنيس ولا ساكن فتظن أنها لا فائدة فيها ولا حاجة لها، وهذا مقدار عقلك ونهاية علمك، وإلا فكم لباريه وخَالقه فيه من حكمة وآية.. من طعام الوحش والطير والدواب التي لا تراها، وكم فيها من عقاقير فهي بمنزلة مائدة نصبها الله لتلك المخلوقات.

رأى رجلٌ قُنْفُذًا يأكل أفعى وكلما أكل جزءً ذهب إلى نباتٍ وأكل ورقًا منه، وكان الرجل ذا فضول، فقام واقتلع هذا النبات فلما عاد القُنْفُذ بعدما أكل جزءً من الأفعى ليأكل من هذا النبات فلم يجده فمات، وها هو الذئب إن لَدَغتُه الحية ذهب إلى نبات يمضغ جذوره مَضغَ الواثقِ بالشفاء فلا يضره سمُها، فسبحان من علمه وألهمه.

هل تفكرت كم صناعة قامت ومادتها الأولية من النبات، كصناعة الورق، والمطاط، والزيوت، والأصباغ، والملابس، والأصماغ، والأخشاب والحبال، والعطور، والأثاث و.... و.... و....

إنني أتعجب والله لأهل عصرنا؛ فَهُمْ لا يَعُدُّونَ المخلوق آية إلا إن كُتِبَ عليه بخط واضح «الله» أو «محمد» أو كلمة التوحيد.. أو ما شابه.. فهذه الثمرة أو تلك الورقة أو هذه السَّمكة آية، وكأنَّ تلك التي ليس عليها هذا التوقيع ليست بآية مبهرة... ولا دليل إعجاز.

إنك لو تأملت لوجدت كل ورقة شجرة آية من آيات الله، مصنع كامل يعمل في صمت بلا ضجيج ولا مُخَلَّفات تُفسد البيئة، بل تنتج الأكسجين النافع، وهل الأوزون الذي يحجب الأشعة الكونية الضارة إلا أكسجين ثلاثي الذرات مصنعه النبات الأخضر.

أليست كل زهرة بدقة تصميمها، بتدرج وتناسق ألوانها، برائحتها العَطِرة وشذاها الفواح رسالة من الله الجميل، وآية على الله البديع الحكيم.

ذلك تقدير العزيز العليم

هل تأملت رحمك الله عنقود العنب رزقني الله وإياك من أعناب الجنة، كيف جعل الله لكل حبة فيه مجرى تشرب منه فلا تشرب حق أختها!

أرأيت إلى شجرة البطيخ مُنْبَسِطة على الأرض، إذ لو انتصبت كسائر الزرع لضَعُفَتْ عن حمل ثمارها، أما ما يحمل ثمارًا خفيفة فأنبته الله منتصبًا قائمًا على ساقه، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ألم تلفتك الأشواك التي في سنبلة القمح فلا تتمكن أسراب الطير من إتلافها ولو لا هذه الإبر لعجز أرباب الزرع عن ردها؟

انظر كيف توزعت الثمار على الشجرة الواحدة متفرقة غير مكدسة؛ كي تنال كل منها حظها من الشمس.

ومن مظاهر حكمة الله أنه خلق الأشجار التي تنبت في المناطق الشديدة البرد ويتساقط عليها الجليد جعلها مخروطية الشكل؛ حتى ينزلق الثلج من على أغصانها فلا تنكسر، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾..

أما النباتات الصحراوية فميزها ربنا بالقدرة على الاحتفاظ بالماء وتخزينه، فالجذور متشعبة وبعضها يفرز مادة صمغية في التُربة المُحيطة بالجذور لئلا يفقد الماء، وبعضها يكفيه رَخَّة مطر واحدة في العام لينمو.

وقد زود ربنا النباتات بأجهزة دفاعية ومناعية لحمايتها من الأمراض والآفات..

فهذا نبات يغطي أوراقه بالشمع فلا يستقر عليه الماء وبالتالي لا تنمو الفطريات.. أضف إلى ذلك الدفاعات الكيميائية الداخلية، فإذا استُهدِفت خلية نباتية يتغير تركيب السيتوبلازم مما يؤدي لتدمير الفطر الغازي... وقد تموت الخلية المُصابة حتى لا يَتَقَدَّم المرض إلى سائر الخلايا السليمة، ومن النباتات ما ينتج مواد مُضَادَّة للجراثيم ومُرَكَّبات سامة للفطريات.

وهذا نبات له أشواك لِوَخْزِ المُهَاجِم، وذلك يُفْرز السموم، وبعضها يُضَلِّل العدو بالتمويه.

تضع الفراشات بيضها على ورق النباتات وحينما يفقس البيض تتغذى اليَرَقات على أوراق النبات، ومما أذهل العلماء أن زهرة الآلام لديها القدرة على إنتاج أجسام تُشبه بيض الفراشات في الشكل واللون، فإن رأت الفراشة هذه الأجسام حَسِبَتها بيض فراشة أخرى سبقتها فتنصرف عنها إلى غيرها.

متفرقات

وهناك زهرة لها رائحة السمك المُتعفِّن... فهي مُنَفِّرة جدًا.

نبات خَنَّاق الذباب إن وقعت عليه حشرة انقبضت ورقته بأشواكها ثم تهضم فريستها.

بعض الأزهار على هيئة أُنْثَى الحشرة لتجذب الذكور بحبوب اللقاح إليها.

شجرة التبغ لا يقربها حَيوانٌ ولا يسكن فيها طائر.. هكذا بالفطرة!!

شجرة الحنظل لو سقيت بماء السكر لأنتجت حنظلًا مرًا.

بعض الأشجار يصل ارتفاعها إلى ١٨٠ مترًا... ألم تُفكِر كيف يَرْقَى الماءُ إلى أوراقها؟، عَثَرَ العلماء بقارة أمريكا على أشجار مُعَمِّرَة يصل عمرها إلى ٤٠٠٠ سنة!!!

كشجر السكويا.. فهذه الشجرة موجودة من قبل اكتشاف كولومبس للقارة.

أما شجرة العملاق الأحمر فيصل ارتفاعها إلى ١١٠ متر ويصل وزنها إلى ٦٠٠ طن وتحتاج لحوالي ٤٠: ٥٠ رجلًا ليحيطوا بجذعها.. وقد رأيت صورًا لها عجيبة فحجم الإنسان بجوارها كحجم الفأر بجوار الأشجار الكبيرة.

فتأمل أخي في عجيب صُنع الله... أسأل الله العظيم أن يجعلني وإياك ممن يسير في ظل شجرة طوبي في الجنة..

وما من شجرة في الجنَّة إلا ساقُها مِن ذهب، فهيا قل معي: «سبحان الله وبحمده».. تُغْرَس لك نخلة في الجنَّة.

بعض الأزهار يُسبب عطرُها شللًا وصعقًا فوريًا للذباب، وبأمريكا الاستوائية أشجار سامة لها عصارة قاتِلة لو لامست البشرة فإنها تتورّم وتحترق.

النَّخلة تُشبه في استقامتها الإنسان وفي أنها إن قُطِعَ رَأْسُها ماتت، والنخلة تتأثر بموت من جاورها! وهي كثيرة المنافع كالمؤمن، أمَّا التمر فلا يتسع المجال لذكر فوائده الجمة، ولكن حسبُك أن كل ثمرة تُعَدُ صيدلية كاملة.

إخوتاه...

كان هذا غَيضٌ من فَيض، وقليل من كثير ولو بسطت المقال لاتسع المجال، ولكن أخشى أن يَمَلَّ تلك الرحلة مَلُول أو يستطيلها مَشغول، سبرنا أغوار المحيط فما رأيك أن ننطلق سويًا إلى آفاق السماء؟...هل أنت على استعداد...؟ حسنًا، هيا بنا... فلننطلق.